

الموصل سنة ١٩١٣ وفقا لتقارير القنصلية

البريطانية في الموصل

عامر بلو إسماعيل*

لم تقم الحكومة البريطانية تمثيلا دبلوماسيا في الموصل إلى سنة ١٨٣٩ عندما أنشئت قنصلية وأسندت إدارتها إلى عيسى كرستيان انثوني رسام " C. A. Rassam " الذي بقى يديرها إلى أن توفى سنة ١٨٧٢م. وجاء بعد رسام العديد من القناصل التابعين لدائرة الخدمة القنصلية في المشرق وهم وليام شورتلاند ريتشارد " W. S. Richard " ، و جون فردريك رسل " J. F. Russel " (١٨٧٧-١٨٨٥م) ، وهاري هارلنج لامب " H. H. Lamp " (١٨٨٥-١٨٨٦م) ، جون فردريك رسل (١٨٨٦-١٨٨٧م).

في سنة ١٨٨٧م أغلقت القنصلية البريطانية في الموصل بسبب تراجع مؤقت في المصالح البريطانية في الموصل وغياب الرعايا البريطانيين عنها. وفي سنة ١٩٠٨ فتحت من جديد وتولى إدارتها كل من هوراس ادوارد ولكي " H. E. Wilkie " (١٩٠٨-١٩١٠م) ، وتشارلز اليكسزكريغ " T. A. Grieg " (١٩١٠-١٩١١م) ، وأخيرا تشارلز هوني " H. C. Hony " الذي شغل منصب نائب قنصل في الموصل منذ سنة ١٩١١م والذي

/ *

سنتناول في مقالنا هذا الأحداث التاريخية الواردة في تقاريره عن الموصل التي رفعها إلى الحكومة البريطانية سنة ١٩١٣م وكذلك التقارير التي كان يرفعها مترجمه السيد ناصر الذي كان يتولى إدارة القنصلية في حالة غيابه.

فيما يخص والي الموصل ذكرت التقارير أن اسعد باشا قائد الفيلق الثاني عشر العثماني عمل واليا في الموصل إلى ١٩ تشرين الثاني ١٩١٣م إلى أن وصل إلى الموصل سليمان نظيف وتولى السلطة ، كما ذكرت التقارير أن العلاقة بين اسعد باشا وسليمان نظيف كانت سيئة حيث باشر سليمان نظيف بحسب التقارير بتكريس وقته واهتمامه للأشغال العامة مثل الجسر الذي كان يربط ضفتي نهر دجلة في مدينة الموصل كما اهتم بتحسين المواصلات في المدينة بفتح طريق جديد فيها بعرض (٢٠) متر ، وقد أدى فتح هذا الطريق إلى تداعي أو انهيار (٢٤) بيتاً من بيوت الرعايا العثمانيين الذين رفضت بلدية الموصل دفع تعويضات لهم . كما هدد الشارع أملاك الآباء الدومنيكان الكاثوليك (من الجنسية الفرنسية) إلا أن الآباء قرروا في السماح للبلدية بهدم بعض بيوتهم أو التخلي عن متر من أراضيهم من اجل شق الشارع في المدينة . وذكر نائب القنصل في وثيقة أخرى أن والياً الموصل محرم بيك كان والي لولاية الموصل وولاية " Bigha " في الوقت ذاته .

وفي الجانب الأمني ذكرت التقارير فقدان الأمن وتفشي الفوضى في ولاية الموصل والمقاطعات الشمالية منها إن أن البلد بين ديار بكر والجزيرة في حالة فوضى وجميع الاكلاك في نهر دجلة قد نهبت كما هو الحال مع القوافل التجارية . كما أعيق وصول البريد إلى بغداد بسبب حالات السلب والنهب على الطرق بين اربيل والموصل إلى أن سمح له بالمرور في نهاية المطاف إلا أن البريد قد وصل فيه نقص ناقصا كيس واحد وحقيبة

واحدة فيها مبلغ (٥٠٠) باوند . وذكرت التقارير أن خمسة ضباط جاندرمة (في السابق كانوا ضباط في سالونيكاً " Salonika ") كانوا متوجهين إلى الموصل للالتحاق بوالي الموصل سليمان نظيف تعرضوا للسلب لولا أن تدخل بعض الخيالة العرب الذي حرروهم وبنادقهم.

وعن الأمن في العمادية ذكر مترجم القنصلية انه استلم رسائل في ٦ كانون الاول ١٩١٣ من البريطانيين جورج ريد " George Reed " وبيرنارد " J. D. Bernard " تشير إلى أن المبشرين ذكروا أن ستة أولاد هوجموا من قبل قطاع طرق قرب العمادية وقد هرب أربعة منهم وقتل اثنان ، وذكر المترجم انه توسط لدى والي الموصل لوضع حد لهذه الأعمال فبعث الوالي رسالة شديدة اللهجة إلى قائم مقام العمادية حول القضية وحثه على اتخاذ الإجراءات المناسبة فقام قائم مقام العمادية بإلقاء القبض على ستة أشخاص مشتبه بهم إلا انه وبعد التحقيق تبين عدم ثبوت التهمة ضدهم ، فعاقب الوالي قائم مقام العمادية على فشله بان أعفاه من منصبه .

وفي عقرة استلم عبد السلام شيخ برزان وساما هدية من اسطنبول قيل انه عثماني وقيل انه مجيدي ، إلا أن والي الموصل نظيف وصف عبد السلام بأنه سارق وقاتل ويستحق القتل بدل الوسام ، فلما سمع الشيخ عبد السلام بذلك غضب جدا وبدأ الغارة على المناطق المجاورة لمنطقة عقرة . وفي حدث ذي صلة ذكر المترجم أن عبد اللطيف صهر الشيخ برزان قد عاد في تلك الفترة من مكة حاملا معه (٣٠) بندقية قيل إنها من تجهيزات الجيش اليوناني أو سلبت من ذلك الجيش وقد القت السلطات في الموصل القبض على البنادق وصادرتها ويبدو أن البنادق قد جلبت لتستعمل في غارات عبد السلام ضد المناطق قرب عقرة

في ولاية الموصل. وفي هذه الفترة أخذت القوات العثمانية بقيادة طالب بيك تتلقى مضايقة شديدة في مواجهتها المستمرة مع قبيلة الهركية الكردية قرب عقرة وأشارت التقارير إلى أن زعيم الهركية قد قدم إلى الموصل وعمل علاقة صداقة مع والي الموصل وقررا مع بقية زعماء الكرد مهاجمة شيخ برزان.

ومن الناحية الاقتصادية ذكر نائب القنصل البريطاني ارتفاع أسعار الحبوب في الموصل إلى مستوى غير مسبوق مما دفع بعض أعيان الموصل كما يقول النائب إلى احتكار الحبوب . وفي هذه السنة شاع استخدام المحركات النفطية ومضخات الماء العاملة بتقنية الطرد المركزي في مجال الزراعة في تكريت شمال بغداد ، والعديد منها نصبت في تلك الفترة وتعمل في المنطقة المحصورة بين سامراء وبغداد . وفيما يتصل بالموصل نصبت شركة لينج " Messers Lynch and Company " محرك ومضخة للزراعة ثم فتحت الشركة ورشة لصيانة المحركات والمضخات في مدينة الموصل ، وأرسلت شركة بلوكي وكري " Messers Blockey ,Gree and Company " المستر ديكستر " Dexter " احد مهندسيها إلى الموصل لدراسة توسيع نشاطها هناك في مجال نصب المضخات والمكائن . كما اقترحت الشركة المشاركة بصفقة لتجهيز مدرسة صنائع الموصل بما تحتاجه من المكائن لاسيما وان المدرسة قد حصلت على منحة من بلدية الموصل بقيمة (١٠٠٠) باوند ، وقرر المستر تود " Tod " مدير شركة لنج " Messers. Lynch " في بغداد زيارة الموصل في خريف سنة ١٩١٣. كما درست شركة بلوكي وكري فتح محل لتصليح المكائن في الموصل وأمروا بتأسيس مصنع كبير في الولاية وكتب كري " Cree " إلى نائب القنصل البريطاني في الموصل ما يأتي :

” أني غير قلق بشأن الألمان ، سنؤسس ونبيع المكائن البريطانية في الموصل قبلهم بفترة طويلة ، حذرنا يؤدي فقط إلى جعل تحقيق هدفنا أمرا محتوما “

وعن مدى قوة النفوذ الأجنبي في ولاية الموصل فقد ذكر نائب القنصل أن الموصل لا يمكن أن تعود إلى أي منطقة نفوذ وهي لازالت مسألة مفتوحة فيما يتعلق بالحاقها بمنطقة النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين أو بمنطقة النفوذ الفرنسي في سوريا أو منطقة النفوذ التي تحاول ألمانيا خلقها لنفسها أو بمنطقة النفوذ الروسية التي تحاول روسيا باطراد توسيعها في شرق الموصل .

فمن الناحية الجغرافية يرى النائب أن الموصل ستعود إلى نفس منطقة نفوذ كل من بغداد والبصرة ويرى النائب أن الفرنسيين يدركون هذا الرأي لكونهم لهم نشاط قديم وهو الأقوى في المنطقة بسبب قدم إرساليتها ولكثرة عدد الكاثوليك الرومان المتطلعين إليهم للحماية. إلا أن نفوذهم في هذه الفترة قد تدهور لأنهم ركزوا قوتهم على سوريا.

أما الروس فلديهم اهتمام قليل بالموصل في تلك الفترة حيث أن نائب قنصلهم غالبا ما يقيم في بغداد ويقضي فقط حوالي أسبوعين من وقته في الموصل كل عام ، ومع هذا فأنهم يعملون بجد ومثابرة من اجل تأمين ولاء الأكراد في منطقة بحيرة وان وراوندوز ، وفي كل يوم تقترب منطقة نفوذهم من الموصل .

وفيما يتعلق بالألمان فأنهم لم يبدؤوا الكثير من النشاط في الموصل في تلك الفترة ، ولديهم نائب قنصل في الموصل منذ عدة سنوات إلا انه ليس لديه ما يعمله في الموصل ، حيث أن تجارة الألمان في الموصل غير ذات أهمية وعلى الرغم من ذلك فإنهم لن يتركوا الموصل

طويلا لان قواعدهم الامامية في اورفة ورأس العين . والبارون ماكس اوبينهميم "Max"
" Oppenheim " يعمل بجد بأشياء أخرى غير العمل بالتنقيب فليس من المستبعد
السماع في يوم ما بفتح مدرسة ألمانية كبيرة أو مستشفى ألماني كبير في الموصل.

وفيما يتصل بالمصالح البريطانية في الموصل أشار النائب إلى إن مصالح بريطانيا في الموصل
في وضع حسن والتجارة البريطانية مهيمنة.

وعن تعليم اللغة الانكليزية ذكر نائب القنصل أنهم فتحوا صفوفاً لتعليم الإنكليزية في
القنصلية تقدم للانخراط فيها عدداً كبيراً من أبناء الموصل وقد رفضت طلبات اغلبهم لعدم
وجود مجال لاستيعاب عددهم الكبير. وكانت صفوف القنصلية تعاني ما تعانيه من نقص
المعلمين حيث تعين احد معلمي صف القنصلية خارج الموصل كما أصبح للمعلم الآخر النية
بمغادرة الموصل ، كما كانت القنصلية في حالة عجز مالي إذ ذكر نائب القنصل عدم قدرته
على دفع راتب كافي لأي معلم لتمكينه من تكريس وقته للصفوف .

ولتوسيع تعليم الانكليزية اقترح نائب القنصل البريطاني على حكومته حث مدرسة
اليهود في الموصل على تشجيع تعليم اللغة الانكليزية ، ولذلك ففتح نائب القنصل
البريطاني مدير جمعية الاليانس حول هذا الموضوع ، وفتح الأخير بدورة مقر جمعية
الاليانس في باريس. وكان رأي نائب القنصل البريطاني أن جمعية الاستعمار اليهودية
" Jews Colonization Society " في لندن ترغب في مساعدة المدارس على
شروط أن تدرس اللغة الانكليزية ، ويرى أن المشكلة بذلك يمكن حلها إذا استطاع السير
ادوارد كروي " Edward Grey " أن يفتح هذه الجمعية حول الموضوع . كما يرى

نائب القنصل أن تنفيذ مقترحه سيجبر الرومان الكاثوليك على إدخال اللغة الانكليزية كمنهج دراسي في مدارسهم ، وكان نائب القنصل يعول على رغبة الكاثوليك في تعلم اللغة الانكليزية فيقول : " أن الآباء لن يترددوا في إرسال أطفالهم إلى مدارس البروتستانت واليعاقبة أو حتى المدارس اليهودية إذا كانت الانكليزية تدرس فيها وليس في مدارسهم " ، وحذر نائب القنصل من أن عدم تنفيذ مقترحه سيفسح المجال للألمان لاتخاذ خطوات لتعليم أهل الموصل اللغة الألمانية لمصلحة ألمانيا وإلحاق الضرر بتجارة ونفوذ الانكليز.

عاقبت مدارس الرومان الكاثوليك بإرهاب أبنائها الذين حضروا للدراسة بصفوف القنصلية البريطانية . ودفاعا عن النفس بدأ الرومان الكاثوليك باتخاذ خطوات تجاه تعليم الانكليزية في مدارسهم .

وللارتباط الوثيق بين الآباء الدومنيكان وفرنسا ولتجنب إغضابها سئل احد زعماء الآباء الدومنيكان نائب القنصل الفرنسي فيما إذا كان يرى أي معارضة إذا درسوا الانكليزية في مدارسهم وقد رد الأخير بالنفي .